

وفوقيته. وليس من المهم كثيراً بعد ذلك ما إذا كان توين نفسه يتبنى هذه الرؤية عن وعي أم لا طالما حملتها روايته الشهيرة وكرستها.

إن هزلية الصور وسخريتها القاسية من العرب والشرق عموماً لا تلغي على أية حال ما نلاحظه من حيادية نسبية في تناول توين لـ *ألف ليلة وليلة* ووضع الشرق والغرب على قدم المساواة من خلالها، وهي حيادية لم تضعفها الرؤية الخرافية للشرق في ذلك التناول. وقد ساعد على تلك الحيادية أن توين كان ناقداً قاسياً لمجتمعه ليس في هكلبري فن وحدها وإنما في أعمال أخرى، منها ذلك الذي وصف فيه رحلته إلى الشرق، وبالذات فلسطين، في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وهو كتاب *الأبرياء في الخارج* (١٨٦٩)، حيث انتقد التصورات الخاطئة للعرب لدى الأمريكيين مؤكداً أن العرب الذين أضفت عليهم الحكايات صفات البطولة ليسوا أكثر من بدو أضعفهم الفقر والمرض.

وعلى الرغم من جنوح توين للمبالغة في واقعيته بقصد تحطيم الخرافات ورسم المشاهد الكوميديّة، فإنه يعبر بشكل عام عن الرؤية التي بدأت تسود في عصره نحو الشرق، والتي تتسم بعدم الاكتراث كثيراً بأولئك الشرقيين أو بموروثهم، وبإمكانية توظيفهم واتخاذ المواقف منهم بطرق متفاوتة قد تتضمن السخرية، أو تلزم الحيادية والتأمل الفلسفي وربما الإفادة أيضاً لكن دون افتتان أو قلق بالضرورة، كما كانت الحال لدى بعض الرومانتيكيين الإنجليز. انحسار الحكاية الاستشراقية، ودخول عمل ك *ألف ليلة* منطقة الموروث الشعبي، هي بعض مؤشرات هذه الرؤية التي نجد امتدادها في النصف الأول من القرن العشرين.

-٣-

في رواية بعنوان *مأساة أمريكية* (١٩٢٥) للروائي الأمريكي ثيودور درايزر نجد توظيفاً محايداً لـ *ألف ليلة*، بمعنى أنه خال من المضامين السلبية التي وجدناها لدى بو وتوين. في هذه الرواية، في نهاية الربع الأول من القرن العشرين، تبرز حكايات شهرزاد كعمل قصصي خيالي يمكن الاستشهاد به والتقاطع معه دون الدخول في